# طارق بن زياد

## من شاطئ إلى شاطئ

للأستاذ علي محمود طه

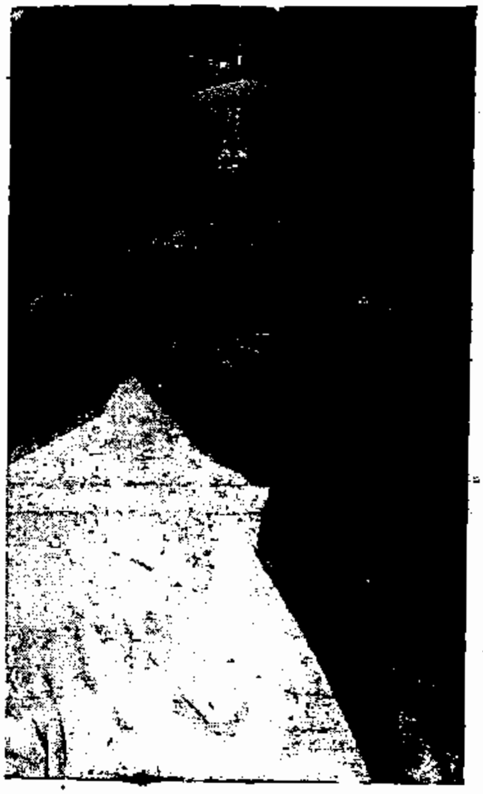

أشباحُ جِنٍّ فوق صدرِ الماء    تهفو بأجنحةٍ من الظلماء ؟
أم تلك عُقبانُ السماء وَثَبنَ من    قُنَنِ الجبالِ على الخِضمّ النائى
لا ، بل سفينٌ نحنَ تحت لواء    لمن السفينُ تُرى ! وأىُّ لواء ؟
ومَن الفتى الجبّارُ تحت شراعها    متربّصًا بالموج والأنواء ؟
يعلى بقبضتِهِ حمائلَ سيفِهِ    ويضمُّ تحت الليل فضلَ رداء
ويُنيلُ ضوء النجم عاليَ جبهةٍ    من وَسْمِ (إفريقيّة) السمراء
ذَهَبٌ بيوتقةِ السّنى من ذَوْبِهِ    مَسَحَتْ مُحيّاهُ يَدُ الصحراء
لونٌ جلَتْ فيه الصحارى سحرَها    تحت النجوم الغُرِّ والأنداء
وسماءُ بحرٍ ما تطامنَ موجُهُ    من قبلُ لابنِ الواحةِ العذراء
بحرٌ أساطيرُ الخيالِ شطوطهُ    ومسابحُ الإلهامِ والإيحاء
ومدائنٌ سحريةٌ شارَفتَهُ    بنخيلها وضفافِها الخضراء
ومعابدٌ شُمٌّ ، وآلهةٌ على    سُفُنٍ ذواهبَ بينهنّ جوائى
أبطالُ يونان على أمواجه    يطوون كلّ مفازةٍ وفضاء
يتجاذبون الثأرَ تحت سمائه    يتناشدون ملاحمَ الشعراء
مازال يرى الرُّومَ وهو سليلُهم    ويُديلُ من (قرطاجة) العصماء
حتى طلَعْتَ به فكنتَ حديثَه    عجباً ! وأىّ عجائبِ الأنباء
ويساءلونَ بك البروقَ لوامعاً    والموجَ فى الإزبادِ والإرغاء
من علّم البدَوىّ نَشْرَ شراعِهِ    وهداهُ للإبحارِ والإرساء !
أين القِفارُ من البحارِ؟ وأين من    جِنّ الجبالِ عرائسُ الدأماء
ياابن القِبابِ الحمرِ ويحك امن رمَى    بكَ فوق هذى اللجّةِ الزرقاء ؟
تغزو بعينيك الفضاء وخَلْفَهُ    أفقٌ من الأحلامِ والأضواء
جُزُرٌ مُنوّرةُ الثغورِ كأنها    قطراتُ ضوءٍ فى حفافِ إناء
والشرقُ من بُعْدٍ حقيقةُ عالَمٍ    والغربُ من قُرْبٍ خيالةُ رائى
ضحكتْ بصفحتِهِ المنى وتراقصتْ    أطيافُ هذى الجنّةِ الفيحاء
ووثبتَ فوق مروجها وتلمّستْ    كفاكَ قلباً ثائرَ الأهواء
فكأنما لكَ فى ذَراها مَوعِدٌ    ضَرَبَتْهُ أندلسيةٌ للقاء !
ووقفتَ والفتيانُ حولكَ وانبرتْ    لكَ صيحةٌ مرهوبةُ الأصداء
هذى الجزيرةُ إن جهلتم أمرَها    أنتم بها رهطٌ من الغرباء
البحرُ خلفى والعدوُّ إزائى    ضاع الطريق إلى السفين ورائى
...وتلفتوا فإذا الخضمُّ سحابةٌ    حمراءُ مُطبِقَةٌ على الأرجاء
قد أحرقَ الربّانُ كلَّ سفينةٍ    من خلفِهِ إلا شراعَ رجاء !
ألقى عليهِ الفجرُ خيطَ أشعةٍ    بيضاءَ فوق الصخرة الشمّاء
وأتى النهارُ وسار فيه طارقٌ    يبنى لملكِ الشرق أيّ بناء
حتى إذا عبرَتْ ليالٍ طوّفتْ    أحلامُه بالبحر ذاتَ مساء
ترعى على الأفقِ المرصّعِ قريةً    أعظِمْ بها للغزوِ من ميناء !
مَدَّ الساءُ لها على خلجانها    ظِلاً فنامتْ فوق صدر الماء !

علي محمود طه